المركز الموريتاني لعلوم الوقف
Centre Mauritanien des Sciences du Waqf (MESC)

مجلة اللوح العلمية المحكمة
Al-Lawh Journal
مجلة علمية دولية محكمة

- الدراسات الإسلامية والشرعية
- اللغة العربية واللسانيات
- العلوم الإنسانية والاجتماعية
- القانون والقضاء
- المالية والاقتصاد
- الحكومة والإدارة
- التراث والمخطوطات

المكتبة الوطنية 3948/2026

رقم البحث: ALJ-2026-0002

الوقف والابتداء:
(تعريفه، نشأته، تطوره، ارتباطه بالمعنى)

المؤلف:
د. محمد محمود محمد المهدي عبد الجبار، دكتور باحث

التصنيف:
الدراسات الإسلامية والشرعية،
علوم القرآن الكريم،
علم الوقف والابتداء،
وعلاقته بالمعنى والتفسير.



الوقف والابتداء تعريفه، نشأته، تطوره، ارتباطه بالمعنى

د. محمد محمود محمد المهدي عبد الجبار/ باحث

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد،

فإنه لا يخفى ما لعلم الوقف والابتداء من دور بارز وحضور قوي في **تفسير أو فهم** المعنى القرآني وتبيين المقصود من كلام الله عز وجل؛ فالقرآن الكريم -كما هو معروف- نزل بلسان عربي مبين، وبالنظر إلى طريقة العرب في كلامهم يتضح أنهم ينطلقون في وقفهم وابتدائهم من عرف لغوي شبه ثابت، يستند بالأساس إلى تمام معنى الجملة أو نقصه وعدم كماله، فيحكمون على هذا السياق بالحسن والكمال، وعلى عكسه بالنقص والإخلال، تبعاً لتمام المعنى أو نقصانه.

إن القرآن الكريم -من حيث هو لسان عربي- يجري عليه ما يجري على هذا اللسان من قواعد يرجع فيها إلى كتب الاختصاص؛ ومن تلك القواعد: وجوب أو استحسان الوقف على الجملة كاملة المعنى تبعاً للسياق الذي قبلها والذي بعدها، وعدم جواز ذلك إذا أخل بالمعنى؛ فقراءة الآية القرآنية بهذا السياق تعين على فهم المراد من كلام الله عز وجل.

أولاً: مشكلة البحث

على الرغم من المكانة الرفيعة التي يحتلها علم الوقف والابتداء في علوم القرآن، وكونه من أقدم العلوم الإسلامية نشأة وتطوراً لارتباطه المباشر بتقويم تلاوة كتاب الله وتدبر معانيه، إلا أن بعض الباحثين وطلاب العلم لم يحيطوا بهذا العلم إحاطة كافية، ولا وقفوا على أصوله وقواعده بشكل دقيق؛ كما أن الجهود المتفرقة للعلماء في هذا المجال تحتاج إلى جمع وتنظيم يبرز نشأة هذا العلم وتطوره، وارتباطه الوثيق بتوجيه المعنى القرآني.

وتنطلق إشكالية هذه الورقة من التساؤلات الرئيسة التالية: ما حقيقة مفهوم الوقف والابتداء في الاصطلاح القرآني؟ كيف نشأ هذا العلم وتطور عبر العصور؟ وما طبيعة ارتباطه بتوجيه المعنى القرآني وتبيان المقصود من كلام الله تعالى؟

ثانياً: أهمية البحث

تتجلى أهمية هذه الورقة في عدة جوانب، أولها: أنها تتناول أحد العلوم القرآنية الأصيلة التي تسهم في فهم النص القرآني فهماً صحيحاً؛ وثانيها: أنها تبرز جهود العلماء في تطوير هذا العلم عبر العصور؛ وثالثها: أنها تقدم مادة علمية مترابطة للباحثين وطلاب العلم والمسلمين عموماً، تسهل عليهم فهم هذا العلم والاستفادة منه في تلاوة القرآن الكريم وتدبره.

ثالثاً: أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من النتائج، أبرزها: توضيح معنى الوقف والابتداء لغة واصطلاحاً، والكشف عن نشأة علم الوقف والابتداء وتطوره عبر المراحل التاريخية المختلفة، وبيان طبيعة ارتباط الوقف والابتداء بالمعنى القرآني وتوجيه الدلالات، وإبراز جهود العلماء في التأليف والتصنيف في هذا المجال.

رابعاً: الدراسات السابقة

حظي علم الوقف والابتداء باهتمام كبير من علماء القراءات واللغة عبر العصور، فكثُرت فيه التآليف، وتفاوتت جهود العلماء في التركيز على تأثير الوقف في توجيه المعنى عموماً، والمعنى القرآني خصوصاً؛ ومن أبرز المصنفات القديمة في هذا المجال: "كتاب الوقف والابتداء" لأبي عمرو الداني، و"الوقف والابتداء" لأبي جعفر النحاس، و"منار الهدى في بيان الوقف والابتداء" للأشموني، وغيرها من المؤلفات التي عنيت بجمع مواضع الوقف وعدها وتصنيفها.

ومع أن هذه المصنفات تمثل ثروة علمية كبيرة، إلا أنها –في الغالب– ركزت على الجانب الإحصائي والتطبيقي، ولم تتوسع في الجانب التأصيلي النظري لعلم الوقف والابتداء، كما أن معظمها لم يقدم تصنيفاً واضحاً للوقف إلى قسمين شكلي ومعنوي يبرز العلاقة الوثيقة بين الوقف وتوجيه المعنى القرآني؛ كما أن الدراسات الحديثة التي تناولت هذا العلم –على قلتها– ظلت في إطار عرض الأحكام والمواضع، دون التعمق في تحليل نشأة العلم وتطوره وارتباطه بالمعنى.

وتأتي هذه الورقة لتسد هذه الفجوة المعرفية من خلال:

1. تقديم تصنيف جديد للوقف إلى وقف شكلي ووقف معنوي، يبرز بوضوح العلاقة بين الوقف والمعنى القرآني.
2. تتبع نشأة علم الوقف والابتداء وتطوره عبر العصور، من العصر النبوي إلى عصر التدوين.
3. بيان صلة هذا العلم بعلوم اللغة العربية والتفسير والقراءات، بشكل تحليلي يوضح التكامل المعرفي بينها.
4. تقديم رؤية نقدية حول واقع الدراسات المعاصرة في هذا المجال، واقتراح آفاق للتطوير والبحث المستقبلي.

خامساً: منهجية البحث

اعتمدت هذه الورقة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع المعلومات المتعلقة بالوقف والابتداء في المصادر الأصلية، وتحليلها وتصنيفها، واستخلاص الدلالات المتعلقة بنشأة العلم وتطوره وارتباطه بالمعنى القرآني؛ وتقتصر الورقة على الجانب التأصيلي النظري لهذا العلم، دون التوسع في التفاصيل التطبيقية الجزئية.

سادساً: خطة البحث: تتناول الورقة المباحث التالية: **المبحث الأول:** تعريف الوقف والابتداء لغة واصطلاحاً، وبيان أنواعهما وأحكامهما. **المبحث الثاني:** نشأة علم الوقف والابتداء وتطوره عبر العصور، **الخاتمة:** وتشتمل على أبرز النتائج، تليها قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تعريف الوقف والابتداء

لما تعذر على القارئ أن يقرأ السورة أو القصة أو بعض الآيات الطويلة بنفَس واحد، كان لا بد له من اختيار وقف للتنفس، وارتضاء ابتداء لقراءته، مما يتطلب الوقف الصحيح، والابتداء الصحيح، فما هو الوقف؟ وما هو الابتداء؟

المطلب الأول: تعريف الوقف:

الوقف في اللغة الكف والحبس [1]، والواو والقاف والفاء أصل واحد، يدل على تمكث في شيء، ثم يقاس عليه؛ ومنه وقفت أقف وقوفا؛ وقفت وقفي [2]، قال الجَوْهَري [3]: "أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه أي أقلعت" [4]، قال الطِرِمَاحْ [5]:

قَلَ فِي شَطِ نَهْرَوَانَ اغْتِمَاضِى وَدَعَانِي هَوَي العُيُون المِرَاضِ

جَامِحـًا فِي غِوَايَتِي ثُم أَوْقَفْـتُ رِضَا بِالتُّقَى وَذُو البــرِ رَاضِ [6]

وحكى أَبُو عَمْرو بن العَلاَء [7] "ثم أوقفت أي سكت" [8].

وقد وردت مادة "وقف" في أربعة مواضع في القرآن الكريم، في قوله ولَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ... [9] ، وقوله تعالى وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ [10] ، وقوله تعالى وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ

---

(1) لسان العرب لابن منظور مادة وقف دار صادر بيروت 1955م.

(2) معجم مقاييس اللغة مادة: وقف لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ت: 395 هـ تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون طبع دار الجيل بيروت لبنان بدون تاريخ نشر.

(3)- إسماعيل بن حماد الجوهري، من أئمة اللغة، ألف الصحاح توفي سنة 393هـ، ينظر معجم الأدباء لياقوت الحموي 229/2.

(4) الصحاح للجوهري مادة: وقف تحقيق عبد الغفور عطارد، دار العلم للملايين ط: 2، 1399هـ.

(5)- الطرماح بن حكيم، شاعر فحل، ولد ونشأ بالشام، توفي نحو سنة 125هـ ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد شاكر، دار المعارف مصر، 1966م.

(6) لسان العرب مادة وقف.

(7)-أبو عمرو بن العلاء زبان بن عمار، من أئمة اللغة البصريين، توفي سنة: 154هـ، ينظر أخبار النحويين للسيرافي ص: 22، المطبعة الكاثولوكية، بيروت 1936م.

(8) الصحاح مادة وقف.

(9) الأنعام: 27.

(10) الأنعام: 30.

رَبِّهِمْ [1] ، وقوله تعالى وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ [2]؛ وهي في هذه المواضع تدل على معاني: الحبس وسكون الحركة [3].

والوقف في اصطلاح القراء: "قطع الكلمة عما بعدها"[4] ، وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى؛ ولا يخل بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز، ويحصل القصد [5].

وقيل الوقف قطع الصوت عن الكلمة زمنا ما يتنفس فيه القارئ عادة، بنية استئناف القراءة [6]، ومثال ذلك أن يقرأ القارئ الآية الأولى من سورة الفاتحة، ويقف على كلمة الْعَالَمِينَ [7] وقفة يتنفس خلالها؛ ثم يواصل قراءة الآية التي بعدها.

وقال ابن الجَزَرِي [8]: الوقف "عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله ... لا بنية الإعراض، وتنبغي البسملة

---

(1) سبأ: 31.

(2) الصافات: 24.

(3) معجم ألفاظ القرآن الكريم 2/ 874 صدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية: 1394 / 1974م.

(4) هو العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني الحسيني الحنفي المتوفى 816 هـ، ص: 347، طبعة محققة ومفهرسة ومزيدة تحقيق وزيادة الدكتور محمد عبد الرحمن المرعشلي دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الأولى 1424هـ 2003م، وينظر في هذا المعنى منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للشيخ أحمد بن عبد الكريم الأشموني من علماء القرن الحادي عشر الهجري ص: 24. علق عليه شريف أبو العلاء العدوي طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية 1427هـ/ 2007م. وقد أطلق بعض العلماء الوقف على ما يقطع فيه الصوت عن الكلمة للتنفس بنية استئناف القراءة وبنية عدم استئنافها، أي أنه لا فرق بين الوقف والقطع والسكت وهو الظاهر من كلام شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري في المقصد. ينظر المقصد لتلخيص ما في المرشد لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى 926هـ ص: 10 .11. طبع على هامش كتاب منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني علق عليه شريف أبو العلاء العدوي طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية 1427هـ / 2007م.

(5) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ت: 833هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ نشر 225/1 أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية.

(6) رياضة اللسان بتلاوة القرآن تأليف الجيلي أحمد بلال ص: 157، إصدار جامعة الإمارات العربية المتحدة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الدراسات الإسلامية، بدون تاريخ نشر، وفن الترتيل وعلومه تأليف الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل 2/ 904 صدر الكتاب بالتعاون بين مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، الطبعة الأولى 1420هـ 1999م وينظر لطائف البيان في أحكام علوم القرآن بقلم صابر غانم المنكوت ص: 315، عني بنشره وطبعه عبد بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي دولة قطر، سنة الطبع: 1988م.

(7) الفاتحة: 2.

(8) - محمد بن محمد الدمشقي، كان إماما في القراءات، حافظا للحديث، ألف النشر في القراءات العشر، توفي سنة 833هـ ينظر طبقات الحفاظ للسيوطي، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 1403هـ، ص: 543- 544.

معه في فواتح السور... ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط كلمة، ولا فيما اتصل رسما... ولا بد من التنفس معه" [1].

والظاهر والله تعالى أعلم أن تعريف ابن الجَزَرِي السابق هو أدق تعريف وأجمعه وأمنعه للوقف، لا ترد عليه الإشكالات والاحتمالات، وهو الذي جرى على ألسنة من جاء بعده [2].

وعرَّف علم الوقف والابتداء بأنه "فن جليل، يعرف به كيفية أداء القراءة بالوقف على المواضع التي نص عليها القراء، لإتمام المعاني، والابتداء بمواضع محددة لا تختل فيها المعاني" [3].

ومن الناحية الشكلية فإنه "يترتب على الوقف إسقاط التنوين، وإسقاط حركات الإعراب؛ حيث يكون الوقف بالسكون في مثل " الرَّحِيم "، وهي مجرورة وصلا ومثل "قدير" وهي مرفوعة وصلا، ومثل " عَلِيم " وهي منونة مرفوعة وصلا، و" حَكِيم " وهي منونة مجرورة وصلا، ويترتب على الوقف أيضا قلب التنوين المنصوب ألفا نحو " تَرْتِيلا "، ويترتب عليه كذلك في هاء التأنيث التي تنطق تاء في الوصل نحو " ٱلْغَٰشِيَة" أنها تنطق هاء عند الوقف عليها، ويترتب عليه أيضا الوقف على الكلمة المقطوعة في خط المصحف عند الحاجة، والوقف بالحذف على المحذوف رسما، وبالإثبات على الثابت في رسم المصحف، والوقف بالتاء على ما كتب بالتاء وغير ذلك"[4].

---

(1) النشر 1/ 240.

(2) عول مثلا على هذا التعريف الإمام جلال السيوطي ت: 911 هـ في الإتقان 1/ 115 حققه محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية للكتاب: 1974م 1/ 243 والقسطلاني في لطائف الإشارات لفنون القراءات 1/ 248، تحقيق عامر السيد عثمان، وعبد الصبور شاهين، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة الطبعة: 1392هـ، ونهاية القول المفيد في علم التجويد ص: 153، تأليف مكي محمد نصر طبعة مصطفي الحلبي بدون تاريخ نشر، وهداية القارئ لتجويد كلام البارئ ص: 371 للشيخ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي طبع مكتبة "طيبة" المدينة المنورة المملكة العربية السعودية الطبعة الثانية.

(3) المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل للإمام أبي عمرو الداني ت: 444 هـ، دراسة وتحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مقدمة المؤلف، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1407هـ / 1987م ص: 48. وينظر في هذا المعنى البرهان في علوم القرآن للزركشي ت: 794هـ، 1/ 342، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار عالم الكتب للطباعة والنشر المملكة العربية السعودية سنة الطبع: 1424هـ / 2003م، وكذا الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

(4) ينظر على سبيل المثال إيضاح الوقف والابتداء للإمام أبو بكر ابن الأنباري ت: 328 هـ تحقيق الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، طبعة دار الحديث القاهرة جمهورية مصر العربية سنة الطبع: 1428هـ / 2007م، ومنار الهدى في بيان

وبجانب مصطلح "الوقف" توجد مصطلحات مثل "القطع" و"السكت" [1]، وهذان المصطلحان كما ذكر ابن الجزري عبارات جرت عند المتقدمين مراد بهما الوقف غالبا [2].

أما عند المتأخرين فالقطع هو قطع الصوت عن القراءة بنية عدم استئنافها [3]، أو هو عبارة عن قطع القراءة رأسا، أي: السكوت بعد القراءة بقصد الانتهاء منها، وهو المؤذن بانقضاء القراءة، والانتقال منها إلى حالة أخرى، كالذي ينهي قراءة القرآن في ركعة ثم يركع، "ويكون القطع على رؤوس الآي التامة المعنى، ونهاية السور والقصص والأحكام والأحزاب والأجزاء والأرباع تامة المعنى، وغير ذلك" [4].

أما السكت: فهو قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة، من غير تنفس [5]، فالقارئ يسكت سكتة لطيفة من غير قطع، كما في سكوت حَمْزة على الساكن قبل الهمز[6]، وكذلك في قوله تعالى: وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ [7] في رواية حَفْص [8] بخلف عنه، "والصحيح أن السكت مقيد بالسماع والنقل، فلا يصح إلا فيما صحت الرواية به، لمعنى مقصود بذاته" [9]

وأقسام الوقف كثيرة ومتنوعة عند علماء الوقف ومن أشهرها الوقف اللازم والتام والكافي والحسن والقبيح .....

وعموما انطلاقا مما سبق فإنه يمكن تقسيم الوقف إلى قسمين اثنين:

القسم الأول: الوقف الشكلي: وهو وقف لا تظهر له علاقة وثيقة بمعنى الكلام وسياقه، كالوقف على المنصوب والمرفوع والمكسور، والمنون المرفوع والمكسور بالسكون، والوقف على مرسوم الخط، ووقف حمزة وهشام على الهمز، والوقف على هاء التأنيث المقبوضة والمبسوطة ...؛ والظاهر من كلام

---

(1) · الوقف والابتداء للأشموني. فقد قدم فيه ابن الأنباري والأشموني معلومات مركزة عن الفصل والوصل والكلمات والحروف المحذوفة والمضمومة إلى بعضها البعض والمقطوعة من بعضها البعض واتباع مرسوم المصحف في ذلك ... وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بالجوانب الشكلية للوقف. وينظر في هذا المعنى فن الترتيل وعلومه 2/ 927، وسترى أني تركت الكلام عن الجوانب الشكلية للوقف في جميع موضوعات هذا البحث، وذلك لأنني رأيت أن لا علاقة لها مباشرة بتأثير الوقف على المعنى، وهو الأمر الذي تدور حوله موضوعات هذا البحث، ينظر لزيادة المعنى في "القطع" و"السكت" الإتقان 1/ 243 . 244 وهداية القارئ للمرصفي 1/ 407 وما بعده.

(2) · النشر 1/ 239 ولطائف البيان في أحكام القرآن ص: 316.

(3) · فن الترتيل وعلومه للشيخ الطويل 2/ 901.

(4) · المرجع السابق 2/ 901.

(5) · النشر 240/1.

(6) · النشر 1/ 239 . 243.

(7) · القيامة: 27.

(8) حفص بن سليمان بن المغيرة الإمام أبو عمر الكوفي الأسدي تلميذ عاصم وابن زوجته ومن ثم أتقن القراءة عنه توفي 280هـ ينظر معرفة القراء الكبار 1 / 287.

(9) النشر 1/ 243 وينظر في هذا المعنى منار الهدى في بيان الوقف والابتداء ص: 24 . 25.

القراء، وأصحاب الوقف، أن هذا النوع من الوقف ليس له علاقة بارزة بالمعنى، وإنما يدخل في باب أحكام التلاوة والأداء، التي تؤدى بها تلاوة كتاب الله عز وجل، والتي نقلها القراء بالسند الصحيح المتواتر، أو المشهور، أو الآحاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القسم الثاني: الوقف المعنوي: وهو وقف يُهدف من ورائه إلى صون القارئ من الغلط والخطأ والوهم في معاني كتاب الله عز وجل، بالوقف في محل لا يوقف فيه، أو بعدم الوقف في محل لابد أن يقف فيه، وهذا القسم هو الذي له علاقة وثيقة بالمعنى القرآني، وهو المقصود بعلم الوقف عند الإطلاق، وهو الذي يدور حول المعنى أو يدور المعنى حوله.

وهذا التقسيم السابق للوقف بهذه الطريقة لم أقف عليه في مصادر ومراجع الوقف والقراءات التي اطلعت عليها، مع أنه واضح بالاستقراء من خلال أحكام التجويد، وكلام علماء الوقف.

ثم إنه "لا بد من معرفة أصول مذاهب القراء في الوقف والابتداء، ليعتمد في قراءة كل مذهبه؛ فنَافِعٌ [1] كان يراعي محاسن الوقف والابتداء، وابن كَثِير[2] كان يقول إذا وقفت في القرآن على قوله تعالى وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ [3]، وعلى قوله وَمَا يُشْعِرُكُمْ [4]، وعلى قوله إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ [5] لم أبال بعدها وقفت أم لم أقف، وروي عن الإمام الصالح أبو الفَضْل الرازي أنه كان يراعي الوقف على رؤوس الآي مطلقا ولا يعتمد في أوساط الآي وقفا سوى هذه الثلاث المتقدمة، وأبو عمرو رُوي عنه أنه يعتمد الوقف على رؤوس الآي، ويقول هو أحب إِلَيَ، وذكر عنه الخُزَاعِي [6] أنه كان يطلب حسن الابتداء، وذكر عنه أبو الفَضْل الرازي أنه يراعي حسن الوقف، وعَاصِم [7] ذكر عنه أبو الفَضْل الرازي [8] أنه كان

---

(1) نافع بن عبد الرحمن: أحد القراء السبعة اشتهر في المدينة وانتهت إليه رئاسة القراءة فيها توفي سنة 169هـ ينظر غاية النهاية 1/ 330.

(2) أبو عمر بن عبد الله بن راذان بن فيروز أبو معبد الكناني الداري المكي إمام المكيين في القراءة توفي سنة 122هـ. ينظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار 1/ 197 للإمام الذهبي ت: 748 تحقيق د . طيار آلتي قولاج استانبول6 141 هـ/5 199.

(3) آل عمران:7.

(4) الأنعام: 109.

(5) النحل: 103.

(6) إسحاق بن أحمد بن نافع أبو حمد الخزاعي المكي مقرئ المسجد الحرام كان حجة ثقة رفيع الذكر توفي سنة 308هـ ينظر معرفة القراء الكبار 1/ 450.

(7) هو أبو بكر عاصم بن بهدلة، أحد القراء السبعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، توفي سنة 127هـ ينظر غاية النهاية 1/ 346 لابن الجزري، عني بنشره: ح. برجستراسر الطبعة الأولى: 1352هـ / 1933م، مطبعة الخانجي مصر القاهرة. .

(8) عبد الرحمن بن أحمد أبو الفضل العجلي الرازي أحد الأعلام وشيخ من شيوخ الإسلام توفي سنة 454 هـ. ينظر معرفة القراء الكبار 2/ 5 79

يراعي حسن الابتداء، وذكر الخُزَاعِي أن عَاصِما والكِسَائِي[1] كانا يطلبان الوقف من حيث يتم الكلام، وحَمْزة[2] اتفقت الرواة عنه أنه كان يقف عند انقطاع النفس، والباقون من القراء كانوا يراعون حسن الحالتين، وقفا وابتداء، كذا حكى عنهم غير واحد، منهم الإمامان أبو الفضل الخزاعي، والرازي، رحمهما الله تعالى[3].

ولعل الفيصل في هذا التباين في أصول القراء في الوقف ما قاله الشيخ زَكَرِيا الأنصاري[4]، قال: "والأعدل أنه قد يكون الوقف في أوساط الآي، وإن كان الأغلب في أواخرها، وليس آخر كل آية وقفا، بل المعاني معتبرة، والأنفاس تابعة لها، والقارئ إذا بلغ الوقف وفي نفسه طول يبلغ الوقف الذي يليه، فله مجاوزته إلى ما يليه فما بعده، فإن علم أن نفسه لا يبلغ ذلك فالأحسن له أن لا يجاوزه ... فإن عرض للقارئ عجز بعطاس، أو قطع نفس، أو نحوه، عند ما يكره الوقف عليه، عاد من أول الكلام ليكون الكلام متصلا بعضه ببعض، ولئلا يكون الابتداء بما بعده موهما للوقوع في محذور" [5].

المطلب الثاني: تعريف الابتداء:

الابتداء في اللغة الاستئناف، وبدأت الشيء فعلته ابتداء، والبدء فعل الشيء أول[6].

---

(1) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، أحد القراء السبعة، وإمام الكوفة في النحو، توفي سنة 189هـ ينظر إنباه الرواة للقفطي 2/ 256،

(2) حمزة بن حبيب الزيات، المقرئ الكوفي، أحد القراء السبعة، أدرك الصحابة أخذ القراءة عن الأعمش توفي سنة: 156هـ ينظر غاية النهاية في طبقات القراء 261/1.

(3) النشر 1/ 238 والبرهان في علوم القرآن 1/ 350 للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت: 794هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار عالم الكتب للطباعة والنشر المملكة العربية السعودية سنة الطبع: 1424هـ / 2003م مع التلخيص منهما وينظر كذلك الإتقان 1/ 243 وينظر في هذا المعنى مقدمة تحقيق المكتفى للداني ص: 48.

(4) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي قاض مفسر من حفاظ الحديث توفي سنة: 6 92هـ ينظر الأعلام للزركلي 3 / 46.

(5) المقصد لتلخيص ما في المرشد ص: 11 . 13.

(6) لسان العرب لابن منظور مادة بدأ.

وفي الاصطلاح المراد به ابتداء القراءة [1]، أو "هو الشروع في القراءة بعد وقف أو قطع" [2]، "ويكون البدء بالكلمة الموقوف عليها، إن صلح بها المعنى، أو بما قبلها ليصلح المعنى، وإلا فبما يصلح به الابتداء، ويؤدى به المعنى، ولا يصح الابتداء بكلام مبتور، لا يؤدي معنى صحيحا "[3].

وغالبا ما يكون الشروع من أوائل السور، ورؤوس الآيات ، أو بالجملة المستقلة بالمعنى واللفظ، ومن تعلم الوقف تاما وكافيا وحسنا وقبيحا ومتعانقا ...؛ فلا تكون بداية شروعه في القراءة إلا صحيحة [4]، "فالابتداء لا يكون إلا اختياريا لأنه ليس كالوقف، تدعوا إليه ضرورة، فلا يجوز إلا بمستقل بالمعنى، موف بالمقصود"[5].

وقبح الابتداء بالحروف الموقوف عليها إما لعدم كونه مفيدا للمعنى، وإما لكونه موهما للمعنى الفاسد، وإما لكونه هو وما بعده منقولا عن كافر، فيجب على من انقطع نفسه على شيء من ذلك، أن يرجع إلى ما قبله، ويصل الكلام بعضه ببعض، فإن لم يفعل أثم، وربما كفر، إن قصد ذلك والعياذ بالله تعالى [6].

وبناء عليه يطلب من القارئ حال الابتداء ما يطلب منه حال الوقف، فلا يكون الابتداء إلا بكلام مستقل، موف بالمقصود، غير مرتبط بما قبله في المعنى، لكونه مختارا فيه، بخلاف الوقف، فقد يكون مضطرا إليه، وتدعوه الحاجة إلى أن يقف في موضع لا يجوز الوقف عليه [7].

وينبغي للقارئ أن يبتعد في وقفه وابتدائه عن كل معنى مستهجن، أو متعسف، ولا يوصل آية عذاب أو نار أو عقاب بضد ذلك من الرحمة والجنة والثواب، فيوقف عليه بما يخلط المعنى، فيلحق الثواب بالعقاب، أو العكس، ويقف عليه.

ويمكن قسيم الابتداء إلى حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون القارئ مبتدئا القراءة من أول الأمر، وهذا النوع لا بد للقارئ أن يتخير الموضع الذي يصح للبدء منه؛ فلا ينبغي له أن يبدأ بما يكون متصلا بما قبله، اتصالا لا يفهم من دونه

---

(1) . رياضة اللسان بتلاوة القرآن ص:171، وينظر لطائف البيان في أحكام القرآن ص: 315.

(2) . التعريفات للجرجاني ص:62 وهداية القارئ للمرصفي 392/1.

(3) . منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ص: 48 ومعالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء ص: 69 لفضيلة الشيخ الإمام محمود خليل الحصري، طبع مكتبة السنة بالقاهرة جمهورية مصر العربية الطبعة الأولى: 1423هـ / 2002م.، وفن الترتيل وعلومه 2/ 909.

(4) . كيف تقرأ القرآن ص: 158 . 159 للشيخ أبي جهاد محمد أبو الفرج دار الفكر المعاصر دمشق سورية الطبعة الأولى: 1999م.

(5) . النشر 230/1 والإتقان 239/1.

(6) . معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء ص: 70.

(7) . هداية القارئ للمرصفي 1/ 392.

، كأن يفتتح قارئ قراءته بقوله تعالى عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ [1] وذلك لأن الآية متصلة بما قبلها، لا تفهم بغيرها، ولا مانع يمنع القارئ أن يبدأ بما قبلها.

الحالة الثانية: أن يكون الابتداء بعد الوقف في أثناء قراءته، كأن يقرأ سورة الفاتحة فيقف على الْعَالَمِينَ ثم يبتدئ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وهذا النوع يتسامح فيه أكثر من سابقه، لأنه يكون بعد وقف، ففي المثال السابق يجوز له أن يقف على يَتَسَاءَلُونَ [2] ثم يبتدأ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ [3] لأنه وإن وقف قبلها إلا أن زمن الوقف قليل، ويستطيع السامع أن يدرك المعاني المقصودة.

وهذا النوع الثاني يمكن أن يكون بعد وقف حسن، إذا كان رأس آية، كمن يقف على رءوس فاتحة الكتاب، ثم يبتدئ بعدها، وقد يكون بعد وقف كاف، أو تام، ولا ينبغي أن يكون بعد وقف حسن ليس برأس آية، كمن يقف على ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لا يبدأ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وأما النوع الأول فالأولى فيه للقارئ أن يبتدئ السورة من أولها، أو أن يبدأ بعد تمام، حتى لا يكون قد بدأ بكلام متصل بما قبله [4].

مراتب الابتداء:

والابتداء يكون تاما، ويكون حسنا، ويكون جائزا، ويكون قبيحا، وسأشير باختصار إلى هذه المراتب فيما يلي:

. الابتداء التام: هو البدء بما لم يتعلق بما قبله، لا معنى ولا لفظا [5] ، كأول السورة ، وأول القصة ، والبدء بعد الوقف اللازم أو التام.

. الابتداء الكافي: "هو البدء بما تعلق بما قبله، معنى لا لفظا "[6]، وقيل "هو ما يكفي الابتداء به لمعنى، وله علاقة بما قبله لفظا أو معنى، كالابتداء بقوله تعالى وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا بعد الوقف على [7] فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ [8].

---

(1) . النبأ:2.

(2) . النبأ: 1.

(3) . النبأ: 2.

(4). النشر 1/ 230 ورياضة اللسان بتلاوة القرآن ص:171. 172.

(5) . التعريفات للجرجاني ص:62 وينظر في هذا المعنى هداية القارئ للمرصفي 393/1.

(6) . التعريفات للجرجاني ص:62.

(7) . منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ص: 34.

(8) . يونس: 108.

. الابتداء الحسن: هو البدء بما تعلق بما قبله، لفظا ومعنى [1]، وقيل "هو الابتداء بمعنى حسن، وله علاقة بما قبله لفظا" [2] ؛ ويكون بعد الوقف التام أو الكافي"؛ لأن الوقف التام والكافي يحسن الوقف عليهما، ويحسن الابتداء بما بعدهما.

. الابتداء القبيح: هو الابتداء بما يفسد المعنى، لشدة تعلقه بما قبله لفظا ومعنى، فكل ما يغير المعنى، أو يفسده، أو لا يعطي فائدة في المعنى، فهو بدء قبيح [3].

وقيل "هو الابتداء بما يغير المعنى المراد، أو يفسده، أو يوهم معنى غير مراد، أو بما لا يليق بالله سبحانه وتعالى[4]، ويكون الابتداء قبيحا إذا كان بعد وقف حسن، ولم يكن رأس آية، ومثاله الابتداء بقوله تعالى بعد الوقف على كلمة "الرحمن"[5] "الرحيم" [6].

. ويكون الابتداء قبيحا بعد كل ما اتصل بما قبله لفظا ومعنى، ويدخل فيه كل أنواع الوقف القبيح، ومثاله الابتداء بقوله تعالى يَوْمِ الدِّينِ إن وقفت على كلمة " مَالِكِ "[7] [8].

وقد يكون الوقف حسنا والابتداء به قبيحا، نحو قوله تعالى يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ [9] الوقف عليه حسن لتمام الكلام، والابتداء به قبيح لفساد المعنى، إذ يصير تحذيرا من الإيمان بالله تعالى[10].

وقد يكون الابتداء أشد قبحا من الوقف، كما لو وقف قارئ على لفظ "قالوا" ويبدأ بما بعدها من قوله تعالى: لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ [11]، وقوله لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ [12]، وقوله لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ[13] [14].

---

[1]. التعريفات للجرجاني ص:62.

[2] . فن الترتيل وعلومه 938/2.

[3]. المرجع السابق 938/2.

[4]. التعريفات للجرجاني ص:63.62.

[5] . ينظر لأقسام الابتداء النشر 230/1 والإتقان 239/1.

[6]. الفاتحة: 3.

[7]. الفاتحة:4.

[8] . رياضة اللسان بتلاوة القرآن ص: 172.

[9]. الممتحنة:2.

[10] . النشر 230/1

[11]. آل عمران: 181.

[12]. المائدة: 72.17.

[13]. المائدة: 73.

[14] . هداية القارئ للمرصفي 393/1.

وكما أن الوقف القبيح متفاوت في درجاته، كذلك الابتداء القبيح يتفاوت في القبح، وأخف أنواعه ما لم يفهم منه شيء، ولم يؤد إلى فساد المعنى، فإن أفسد معنى يكون قبحه على قدر إفساده، فأقبحه الابتداء بنحو إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ [1] لأنه من مقول الكفار فلا ينبغي أن يفصل عنه [2].

وقد ذكر الشيخ الحُصَرِي أن الابتداء قد يكون اضطراريا، مثله مثل الوقف، وذلك إذا كان المقول المحكي عن بعض الكفرة في القرآن الكريم طويلا، لا ينتهي نفس القارئ إلى آخره، فيقف في بعض مواضعه للضرورة ، فيضطر إلى الابتداء بما بعده، إذ لا فائدة حينئذ في العود إلى "**قال**" أو "**قالوا**" لأنه ينقطع نفسه في أثناء المقول البتة، وكل القول كفر، كقوله تعالى في سورة المؤمنون وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ [3] إلى قوله تعالى وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ [4] فإنه قلما يوجد قارئ ينتهي نفسه إلى آخر المقول هنا [5].

والظاهر والله تعالى أعلم أن لهذا القول وجاهته وحجيته.

هذا ولا ينبغي للقارئ أن يغتر بالعلامات الموضوعة لبداية الأجزاء والأحزاب والأرباع؛ لأنها لم يراع في أغلبها حسن الوقف والابتداء[6]، ومثال ذلك بداية الجزء الخامس وَالْمُحْصَنَاتُ [7]، فإنها معطوفة على المحرمات في الآية التي قبلها، ولا يمكن فهم معناها دون ربطها بما قبلها، ولهذا لا ينبغي الابتداء بها، وهناك أمثلة متعددة بنفس المعنى في أوائل بعض الأجزاء والأحزاب والأرباع والأثمان ...

وختاما فإنه "على القارئ أن يراعي حسن الابتداء في قراءته، كما يراعي حسن الوقف، فإنه لا عذر له في الابتداء القبيح، خلافا للوقف؛ إذ قد يضطر له" [8].

المبحث الثاني: نشأة علم الوقف والابتداء وتطوره

الظاهر والله تعالى أعلم أن نشأة علم الوقف والابتداء قديمة قدم اللغة العربية نفسها، وذلك باعتبار أن علم "الوقف والابتداء" جزء لا يتجزأ من هذه اللغة؛ فالمفهوم من الخطب والكلام العادي لقدماء العرب استحسان الوقف على الكلام التام المعنى، وعدم استحسان ذلك إذا أخل ذلك بالمعنى.

---

[1]. المائدة:73.

[2]. رياضة اللسان ص:173

[3]. المؤمنون: 33.

[4]. المؤمنون: 38.

[5]. معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء ص: 70.

[6]. ينظر في هذا المعنى ما ذكره المرصفي في هداية القارئ 394/1 وما بعده.

[7]. النساء:24.

[8]. رياضة اللسان بتلاوة القرآن ص: 173.

وفي صدر الإسلام أخذ علم الوقف والابتداء منحا جديدا، لارتباطه الوثيق بكتاب الله عز وجل، وصون قارئه من الوهم والخطأ في معانيه، فكان الصحابة رضوان الله عليهم، يهتمون عند قراءة القرآن بمراعاة الوقف والابتداء، ويتناقلون مسائله مشافهة، ويتعلمونه كما يتعلمون القراءة، فقد أخرج ابن النحاس عن ابن عمر [1] رضي الله عنه، أنه قال: "لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم، فنتعلم حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها..." [2].

المطلب الأول: الوقف عند السلف

وهذا الاهتمام من السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، بتعلم علم الوقف عائد إلى عدة عوامل لعل من أهمها أن للقرآن الكريم أسلوبا فريدا في نظم آياته، فقد يرد في القرآن الكريم آيات قصار، منقطعات لفظا، متصلات معنى، كما قد يرد فيه آيات طوال، منقطعات معنى، متصلات لفظا، فمن قرأ القرآن الكريم على ظاهر النظم، فربما تحول فواصل الآيات القصار، كما يحول تداخل المعاني في الآيات الطوال، بينه وبين المعنى المراد من النص القرآني، فيسيء فهمه؛ لذلك اشتدت عناية السلف ببيان وقوف القرآن، لتكون في خدمة النص القرآني، وتدفع التوهم المفسد للمعنى، عن متداخل النظم، وتفصل بين متباين المعاني، وقد تكثُر منها، بتغير مواقعه، كما قد تعين على توجيه القراءات المختلفة.

ولذلك قال ابن الجَزَرِي: "صح بل تواتر عندنا تعلمه، أي الوقف والاعتناء به من السلف الصالح، ... وكلامهم في ذلك معروف، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب" [3].

واستمر السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، يتناقلون مسائل هذا العلم مشافهة، إلى أن جاء عصر التدوين، فبدأ العلماء بالتأليف فيه، وأول من نقل عنه أنه ألف فيه، شَيْبَة بن نِصَاح [4]، قال ابن الجَزَرِي: "**هو أول من ألف في الوقوف**"[5].

وفي هذا السياق ذكر يوسف عبد الرحمن المرعشلي في مقدمة تحقيقه لكتاب "المكتفى" للداني معلومة في غاية الأهمية، وهي أن كل من ألف في الوقف والابتداء كانوا من القراء والنحويين، وقل أن نجد إماما

---

[1]. هو عبد الله بن عمر بن الخطاب صحابي جليل، ولد قبل الهجرة بعشر سنوات، وهاجر وهو ابن عشر سنين مع أبيه، أفتى الناس ستين سنة، وهو آخر من توفي من الصحابة بمكة سنة 73هـ. ينظر الإصابة، لابن حجر 347/2.

[2]. القطع والإئتناف أو الوقف والابتداء لابن النحاس ت 338هـ ص: 27، تحقيق أحمد فريد المزيدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ / 2002م.

[3]. النشر 1/ 225.

[4]. شيبة بن نصاح بن سرجس أبو ميمونة المدني المقرئ مولى أم سلمة أدرك عائشة وأم سلمة توفي سنة: 133هـ ينظر معرفة القراء الكبار 1/ 182.

[5]. غاية النهاية 1/ 330.

في القراءة، أو اللغة، إلا وله مشاركة في التصنيف في هذا العلم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذا العلم، وارتباطه الشديد بالقرآن الكريم، واللغة العربية، وذَكر من القراء الذين لهم مشاركة في هذا الفن شَيْبَة بن نصاح، وحَمْزَة بن حَبِيب الزيات، والكِسَائي... وغيرهم من القراء الكثيرين الذين ألفوا في علم الوقف والابتداء[1].

ومن المؤلفين النحويين في علم الوقف والابتداء الفَراء [2]، حيث ذكر له البَغْدادي [3] كتابان في الوقف والابتداء أحدهما كبير، والآخر صغير[4]، وممن ألف من النحويين في هذا العلم أيضا الأَخْفَشْ، سَعِيد بن مَسْعدة [5]، وأبو حَاتِم سَهْل بن محمد [6]، وغيرهم كثير[7].

وإن الواقف على البعض المتاح، من كتب المؤلفين، قديما وحديثا في علم الوقف والابتداء، يجد أنهم قد وظفوا علوما شتى، ومعارف مختلفة، كان لابد منها في معرفة مواضع الوقف التي تجوز، وتلك التي لا تجوز، وما يترتب على ذلك من الابتداء، السليم من القبح والتعسف، وفي ذلك يقول الزَرْكَشِي ناقلا كلام أبي بَكْر بن مُجَاهِد[8]: "وهذا الفن معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة، . قال ابن مُجَاهد: . لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات، عالم بالتفسير والقصص، وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن، وقال غيره: وكذا علم الفقه، ولهذا من لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب، وقَفَ عند قوله تعالى وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا[9][10].

---

[1]. ينظر مقدمة تحقيق المكتفى للإمام الداني تحقيق د . يوسف عبد الرحمن المرعشلي ص: 49 . 50، وفيه ذكر المحقق عدة مؤلفات في الوقف والابتداء لبعض القراء وبعض النحويين.

[2]. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء إمام العربية والنحو توفي سنة: 207هـ ترجمته في طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي توفي سنة: 379هـ، دار المعارف بمصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 1 مج.

[3]. أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب أبو بكر البغدادي أحد الأئمة المشهورين والمصنفين المكثرين والحفاظ المبرزين توفي سنة: 463هـ ينظر معجم الأدباء للحموي ص: 384.

[4]. هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين تأليف إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي 2/ 7 طبع بعناية وكالة المعارف اسطانبول الطبعة الأولى: 1371هـ / 1951م.

[5]. الأخفش سعيد بن مسعدة ويسمى الأخفش المتوسط أحد نحاة البصرة وله من الكتب المصنفة كتاب الأوسط في النحو وكتاب تفسير معاني القرآن توفي سنة 225هـ. ينظر طبقات المفسرين للإمام أحمد بن محمد الأدنروي ص: 31 تحقيق سليمان بن صالح الخزي نشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: 1417هـ / 1997م

[6]. أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، مقرئ، نحوي لغوي، عالم البصرة، توفي سنة: 255هـ، ينظر إنباه الرواة 58/2.

[7]. الفهرست ص: 38 . 39 . 58.

[8]. أحمد بن موسى أبو بكر ابن مجاهد: شيخ القراء وأول من سبع السبعة، بغدادي توفي سنة 324هـ ينظر غاية النهاية 139/1.

[9]. النور: 4.

[10]. البرهان 345/1.

وهذا الاهتمام من القراء والنحويين قديما وحديثا بتطوير علم الوقف والابتداء، والتأليف فيه، ومدارسة مسائله، يدل على الدور البارز والكبير، الذي حظي به هذا العلم، إذ لا يخفى ما له من دور بارز، وحضور قوي ، في تفسير وتوضيح المعنى القرآني ، وتبيين المقصود، من كلام المعبود، جل جلاله، فالقرآن الكريم . وكما هو معلوم نزل بلسان عربي مبين، وبالنظر إلى طريقة العرب في كلامهم، يتضح أنهم يصدرون في وقفهم وابتدائهم إلى عرف لغوي شبه ثابت ، يستند بالأساس إلى تمام معنى الجملة، أو نقصه وعدم كماله، فيحكمون على هذا السياق بالحسن والكمال، وعلى عكسه بالنقص والإخلال.

والقرآن الكريم مع جلال قدره، وسمو معانيه، ما هو إلا كلمات عربية تندرج في هذا السياق، صيغت في أحسن نسق بياني، أعجز البلغاء، وأعيى الفصحاء، وقد تحدى الله عز وجل بلغاء العرب أن يأتوا بمثله، إن كانوا صادقين، ويشمل هذا الكتاب المعجز كثيرا من الحقائق والمعطيات، الظاهرة والجلية، التي يلمسها الإنسان، وتنطق بها شواهد الكون.

ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المختص ببيان القرآن، وتفسير آياته، واستخراج الأحكام منه، قال تعالى وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[1] والآيات والأحاديث متواترة على هذا المعنى، فهذه حقيقة ثابتة، لا شك فيها ولا نقاش، لكن إن لم يوجد من النبي صلى الله عليه وسلم نص صريح في تفسير آية ما، فماذا نفعل؟

إن القرآن الكريم من حيث هو لسان عربي، يجري عليه ما يجري على هذا اللسان من قواعد، يرجع فيها لكتب الاختصاص[2]، ومن تلك القواعد، وجوب أو استحسان الوقف على الجملة الكاملة المعنى، تبعا للسياق الذي قبلها والذي بعدها، وعدم جواز ذلك إذا أخل ذلك بالمعنى، وما يقال عن الوقف يقال عن الابتداء، فقراءة الآية القرآنية بهذا السياق، يعيننا إن شاء الله تعالى على فهم المراد من كلام الله عز وجل، وبالطبع هناك علوم أخرى أساسية، لا بد من الإلمام بها كي يفهم القرآن الكريم، الفهم الصحيح،

---

(1) النحل: 44.

(2) ينظر على سبيل المثال لمعرفة قواعد اللغة العربية والتفصيل فيها والتي تنطبق بدورها على القرآن الكريم: مفتاح العلوم للسكاكي ضبطه نعيم زرزور، طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: 1983م، وسر صناعة الإعراب لابن جني طبع دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الثانية: 2000م، وأوضح المسالك إلى ألفية بن مالك لأبي محمد بن هشام الأنصاري، نشر دار الجيل بيروت لبنان، الطبعة الخامسة: 1979م، وينظر كذلك على سبيل المثال لمعرفة قواعد الأصول والتفصيل فيها: الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد على بن حزم الظاهري ت: 456 هـ، طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى: 1985م، والموافقات لأبي إسحاق إبراهيم اللخمي للشاطبي الغرناطي ت: 790 هـ تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار بن عفان، الطبعة الأولى: 1417 هـ / 1997م، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن على الشوكاني ت: 1250 هـ تحقيق أبو مصعب محمد سعيد البدري، طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان، الطبعة السابعة: 1997، حيث أنه من المعلوم عند العلماء المحققين أن علم اللغة والأصول لا بد من الإلمام بهما والتمكن فيهما خاصة وبجميع العلوم المتعلقة بهما وبالقرآن الكريم والحديث الشريف عامة وذلك من أجل استثمار النصوص الشرعية لأجل استنباط الأحكام التفصيلية.

وهي علوم معروفة، لدى المحققين والمدققين، من أهل هذا الفن، وقد أوصلها السيُوطِي في كتابه الإتقان إلى خمسة عشر علما[1].

ومع أن علم الوقف استقل في مرحلة مبكرة، عن علوم اللغة والقرآن، إلا أن له صلة وطيدة بعديد من العلوم سنبينها في المطلب التالي.

المطلب الثاني: صلة الوقف بعلم اللغة والتفسير والقراءات

أولا: صلة الوقف بعلوم اللغة العربية: لقد وظف علماء الوقف علوم اللغة العربية في بيان مواضع الوقف، وخصوا منها علم النحو وتقديراته، ومن ذلك مثلا الوقف عند قوله تعالى يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا [2] ، يقول الداني [3] في ذلك مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا كاف إذا رفعت وَمَا عَمِلَتْ بالابتداء، والخبر "تود" والأجود أن تكون "ما" في موضع نصب، عطفا على قوله مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ فعلى هذا لا يكفي الوقف على "محضرا"[4], والأمثلة على ارتباط علم الوقف بعلوم اللغة العربية كثيرة جدا.

ومن أمثلة ذلك أنه لا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الرافع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرافع ...[5] إلى غير ذلك من القواعد التي شاعت واشتهرت في كتب الوقف والابتداء.

ثانيا: صلة الوقف بعلم التفسير: يقول الزَّرْكَشي: "وأما احتياجه إلى معرفة التفسير، فلأنه إذا وقف على فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً[6]، كان المعنى محرمة عليهم هذه المدة، وإذا وقف على "**عليهم**" كان المعنى محرمة عليهم أبدا، وأن التيه أربعين، فرُجِع في هذا إلى التفسير، فيكون التقدير بحسب ذلك..." [7].

ثالثا: صلة الوقف بالقراءات: لا شك أن للوقف صلة وثيقة بالقراءات، فتغير القراءة قد يغير الوقف، وقد يجعل الوقف التام غير تام، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا

---

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي وينظر في هذا السياق قواعد التفسير جمعا ودراسة تأليف خالد بن عثمان السبت 6/1 نشر دار ابن عفان الطبعة الأولى: 1421هـ.

[2] . آل عمران: 30.

[3] عثمان بن سعيد الإمام الحافظ أبو عمر الداني ولد سنة 371هـ قرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر وخلف بن إبراهيم بن خاقان وبرع في علم القراءات والحديث ورجاله والعربية وغير ذلك صنف التصانيف البديعة توفي 444هـ ينظر معرفة القراء الكبار 2 / 773.

[4] المكتفى ص: 199، وإيضاح الوقف والابتداء ص: 325 والمقصد لتلخيص ما في المرشد ص: 486، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ص: 486.

[5] النشر 230/1- 230 ومقدمة تحقيق المكتفى ص: 59.

[6] . المائدة: 16.

[7] البرهان 345/1.

أُنثَىٰ[1] قرأ الجمهور بِمَا وَضَعَتْ بفتح العين وسكون التاء، فعلى هذه القراءة يكفي الوقف على وضعتها انثى، ثم يبتدأ القارئ بقوله والله أعلم بما وضعت، لأنه من كلام الله تعالي، والذي قبله من كلام أم مريم، وفي رواية عن عَاصِم وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ بتسكين العين، وضم التاء، فعلى هذه القراءة لا يحسن الوقف على وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ، لأن الكلام الثاني متصل بالذي قبله، وهو من كلام أم مريم[2]، والأمثلة على ذلك كثيرة، نكتفي منها بهذا المثال.

الخاتمة:

وأشير ختاما إلى أنه قد تبين لي من خلال التدقيق والغوص، والتعمق في بعض المتاح، مما ألفه القراء والنحويون، قديما في علم الوقف والابتداء، أن هذا العلم مازال يحث الخطى على استحياء؛ من حيث التنظير والدقة والتمحيص، والبحث العلمي، الذي يقود إلى تفسير المعنى القرآني، فلم أجد فيما اطلعت عليه من مؤلفات الأقدمين في هذا الفن إلا إشارات قليلة هنا وهناك ترشد إلى هذا الجانب؛ وإن كان قد أُلف فيه عدا وإحصاء، لكن الأثر الذي بنى عليه القراء والنحويون قواعدهم، في الوقف والابتداء، ما زال أثرا ذهنيا لم ينضج بعد، فضلا عن أن يسجل في السطور، أو يحفظ في الصدور، وإن كانت هناك محاولات جيدة وجريئة من علماء ومؤلفين معاصرين، في هذا الاتجاه، إلا أنها محاولات ما زالت بحاجة إلى تكميل وتهذيب ...[3].

وعلم الوقف والابتداء من علوم التفسير، وعلوم التفسير عموما لم تنضج ولم تحترق وقد قيل في هذا السياق أن "العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق، وهو علم الأصول والنحو، وعلم لا نضج ولا احترق، وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق، وهو علم الفقه والحديث" [4] ومن هنا تتبين الأهمية البالغة لموضوع الوقف والابتداء وخاصة في توجيه المعنى القرآني.

وقد حاولت الجمع والتكامل بين القديم المكنون، في بطون الكتب، والجديد الذي ينبغي جمعه وتنقيحه من خلال إشارات ما تزال في المهد، وإخراج الجميع في ثوب جديد، متكامل مفيد، ومعين على فهم سياق المعنى القرآني، وبالتالي تقديم شيء جديد مفيد، في هذا العلم، يفيد المهتمين والدارسين لكتاب الله عز وجل، ويعينهم على فهم معانيه، بإذن الله تعالى.

---

[1]. آل عمران: 36.

[2]- المكتفى ص: 200، وإيضاح الوقف والابتداء ص: 297 . 298.

[3]. على سبيل المثال: معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء للشيخ خليل الحصري وقواعد التفسير للدكتور خالد السبت وأضواء البيان إلى معرفة الوقف والابتداء للشيخ إبراهيم القرش... إلخ.

[4]. قواعد التفسير تأليف خالد بن عثمان السبت 6/1.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ. لسان العرب. مادة وقف. دار صادر، بيروت، 1955م.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ت 395هـ. معجم مقاييس اللغة. مادة وقف. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل، بيروت، د.ت.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد ت 393هـ. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مادة وقف. تحقيق: عبد الغفور عطارد. دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1399هـ.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم ت 276هـ. الشعر والشعراء. تحقيق: أحمد شاكر. دار المعارف، مصر، 1966م.
- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله ت 368هـ. أخبار النحويين البصريين. المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1936م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. معجم ألفاظ القرآن الكريم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1394هـ / 1974م.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف ت 816هـ. كتاب التعريفات. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2003م.
- الأشموني، أحمد بن عبد الكريم ت بعد 1000هـ. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. تعليق: شريف أبو العلاء العدوي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1427هـ / 2007م.
- الأنصاري، زكريا بن محمد ت 926هـ. المقصد لتلخيص ما في المرشد. مطبوع على هامش منار الهدى للأشموني. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1427هـ / 2007م.
- ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي ت 833هـ. النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. دار الفكر، د.ت. 225/1.
- بلال، الجيلي أحمد. رياضة اللسان بتلاوة القرآن. إصدار جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الدراسات الإسلامية، د.ت.
- الطويل، أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله. فن الترتيل وعلومه. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ / 1999م.
- المنكوت، صابر غانم. لطائف البيان في أحكام علوم القرآن. عني بنشره: عبد بن إبراهيم الأنصاري. إدارة إحياء التراث الإسلامي، دولة قطر، 1988م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ. طبقات الحفاظ. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
- القسطلاني، شهاب الدين أحمد بن محمد ت 923هـ. لطائف الإشارات لفنون القراءات. تحقيق: عامر السيد عثمان، وعبد الصبور شاهين. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1392هـ.
- نصر، مكي محمد. نهاية القول المفيد في علم التجويد. مطبعة مصطفى الحلبي، د.ت.
- المرصفي، عبد الفتاح السيد عجمي. هداية القارئ لتجويد كلام البارئ. مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، د.ت.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد ت 444هـ. المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل. تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1407هـ / 1987م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله ت 794هـ. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1424هـ / 2003م.
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم ت 328هـ. إيضاح الوقف والابتداء. تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني. دار الحديث، القاهرة، 1428هـ / 2007م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد ت 748هـ. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. تحقيق: طيار آلتي قولاج. إستانبول، 1415هـ / 1995م.

- ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي ت 833هـ. غاية النهاية في طبقات القراء. عني بنشره: ح. برجستراسر. مطبعة الخانجي، مصر القاهرة، الطبعة الأولى، 1352هـ / 1933م.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت 646هـ. إنباه الرواة على أنباه النحاة. دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن ت 379هـ. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف، مصر، د.ت.
- البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين ت 1339هـ. هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف، اسطنبول، الطبعة الأولى، 1371هـ / 1951م.
- الأدنروي، أحمد بن محمد ت بعد 700هـ. طبقات المفسرين. تحقيق: سليمان بن صالح الخزي. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق ت 380هـ. الفهرست. دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت 852هـ. الإصابة في تمييز الصحابة. دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- ابن النحاس، أحمد بن محمد ت 338هـ. القطع والإئتناف أو الوقف والابتداء. تحقيق: أحمد فريد المزيدي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ / 2002م.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر ت 626هـ. مفتاح العلوم. تحقيق: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان ت 392هـ. سر صناعة الإعراب. دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 2000م.
- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبد الله بن يوسف ت 761هـ. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، 1979م.
- ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد ت 456هـ. الإحكام في أصول الأحكام. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ت 790هـ. الموافقات. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار بن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م.
- الشوكاني، محمد بن علي ت 1250هـ. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. تحقيق: محمد سعيد البدري. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة السابعة، 1997م.
- السبت، خالد بن عثمان. قواعد التفسير جمعاً ودراسة. دار بن عفان، الطبعة الأولى، 1421هـ.
- الحصري، محمود خليل. معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء. مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ / 2002م.
- أبو الفرج، محمد. كيف تقرأ القرآن. دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الأولى، 1999م.
- القرش، إبراهيم. أضواء البيان إلى معرفة الوقف والابتداء. د.ن، د.ت.